نسمات الأدب
تصميم: منة محمد
منفى يشبهني
نعمة دعاس

منفى يشبهني

نعمة دعاس

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب :منفى يشبهني

المؤلف:نعمة دعاس

غلاف الكتاب:منة محمد

موك اب الكتاب:همس الجنه

تنسيق داخلي:دينا علي

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

مقدمة

"الـــذين أحبّـــوا أنفســـهم فـــي الرمـــق الأخيـــر هم الناجون الحقيقيون"

أنـــا لســـتُ كاتبـــة بـــالمعنى الـــذي يُقـــال عنـــه كثيـــرًا أنـــا فتـــاة كتبـــت فقـــط لأنهـــا لـــم تجـــد مـــن تفهمهـــا كتبـــت لأننـــي ضـــعت، ثـــم أردت أن أجـــدني كتبـــت لأننـــي بكيـــت، وخفـــت أن تختنـــق بـــي الـــدموع إن لـــم أتركهـــا تســـيل على الورق.

هـــذا الكتـــاب لـــيس ســـيرة ذاتيـــة، ولا فلســـفة مجـــرّدة هـــو محاولـــة للنجـــاه بطريقـــة صـــامتة كنـــتُ أنـــا، وكـــل مـــا عشـــته، وسأعيشـــه فـــي كـــل ســـطر، فـــي كـــل وجـــع، في كل رماد ونور.

"منفى يشبهني" ليس كتابًا للحزن بل كتابٌ لمن مَرّ من قلبه إعصار وما زال يحمل بين ضلوعه وردة ، إن كنتَ تبحث عن رواية فلن تجدها هنا وإن كنت تبحث عني ربما تجد بعضي لكن إن كنت تبحث عنك، بين هذه الصفحات فأعدك أنك ستتعثّر بروحك مرارًا.

هذا كتاب كُتب بالبكاء لكنّه يُطبع بالحب ويُنشر كي لا يضيع النور الذي أنقذني ولكي تعلم أنت أيضًا أنك قادر أن تكون يدك، وصوتك، ونجاتك.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تمهيد: "لا ذاكرة للظلّ"

في بداية كل شيء، لم أكن أنا، كنتُ صدى صوتٍ غريب يمشي خلفي دون أن يسبقني، ولا يلحق بي، كأنني خُلقت من فكرة لم تكتمل، ومن روح لم تقرر بعد إن كانت تريد أن تعيش.

لم أكن طفلة ضائعة، بل كنت نقطة صامتة في سطر لا أحد قرأه، كنت أراقب الحياة من خلف نافذة مغلقة، أراها تمشي، تضحك، تركض، بينما أنا عالقة في منتصف لا ينتمي إلى أي جهة، شيء في داخلي كان يقول لي دائمًا:

-"أنتِ لستِ هنا صدفة لكنكِ أيضًا لستِ كاملة".

كنتُ أشعر بأنني أعيش في نصف حياة، وأحمل نصف قلب، وأتنفس نصف هواء، حتى ملامحي كانت دائمًا نصف تعبير.

المنفى ليس أرضًا تُنفى إليها ،بل حالة تُنفى فيها عن نفسك، أن تفتح عينيك كل صباح فلا ترى نفسك كما كنت، أن تحاول لمس ذاتك فتجدها زلقة تختفي من بين أصابعك، أن تسأل "من أنا؟" ولا تسمع غير رجع السؤال يضيع في الفراغ.

هذا الكتاب ليس قصة بل غبار القصص، ليس رواية بل تأمّل ما بعد الحكاية،هو نداء من قلب لم يُسمع، وصدى من روح لم تُحتضن.

"منفى يشبهني" ليس مجرد عنوان؛ إنه الجملة الوحيدة التي استطعت أن أصف بها هذا الشعور القديم، شعور أنني لا أنتمي لا إلى أرض، ولا زمن، ولا حتى إلى نفسي.

وها أنا أبدأ الكتاب لا لأشرح بل لأتذكّر، لا لأحكي من أكون بل لأتتبع أثري الذي ضاع مني، وأكتب عنّي كما لم أكتب من قبل، لعلّي ألتقي بي أخيرًا، أو على الأقل أعرف مَن التي كانت تختبئ في قلبي كل هذا الوقت.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

ملامح لا ترتجف بل تختفي

الخـــوف لـــيس مـــا نظنـــه دومًـــا ،لـــيس ذاك الصـــــراخ العـــــالي، ولا الرجفـــــة الظـــــاهرة، ولا التوسّل للهروب.

الخـــوف الحقيقـــي هـــو اختفـــاء بطـــيء أن تختفـــي ملامحـــك وأنـــت حـــيّ أن تســـتيقظ يومًا، ولا تتعرّف على ظلك.

بـــدأ كـــل شـــيء عنـــدما لاحظـــتُ أننـــي لا أتـــرك أثـــرًا لا فـــي الغرفـــة التـــي أعـــيش فيهـــا، ولا فـــي العيـــون التـــي تمـــر بـــي كنـــت أتحـــرّك، أتـــنفّس، أقـــول كلمـــات لكـــن لا أحـــد يســـمعها حقًـــا صـــرتُ بخـــارًا، لا يُمســـك، لا يُحـــتفظ بـــه صـــوتي مـــا عـــاد يصـــل حتـــى إلـــيّ كنـــت أتكلـــم وأســـمع الصـــدى يبتلعنـــي، لا أحـــد يـــردّ، حتى أنا كنتُ أمرّ على المرآة فلا أجدني.

وجهي باهت، كأنه مسحَ نفسه بنفسه عينيّ مطفأتان، لا تحكيان شيئًا ابتسامتي لا تحاول أن تُقنع أحدًا بأنها حقيقية، كنت أرى كل شيء فيّ يذبل، يتلاشى، ينسحب لكنني كنت صامتة لم أصرخ، لم أُخبر أحدًا لأنني في أعماقي لم أكن أعرف من أخبره، ولا كيف أشرح أنني أختفي ببطء.

الخوف لم يدخل حياتي ضيفًا فجائيًا بل تربّى معي منذ أن كنت صغيرة لكنّه كان يرتدي أقنعة جميلة: الطاعة، الأدب، الصمت، الانعزال، ولمّا كبرت، انكشفت وجوهه كلها.

الخوف من أن لا أُحَبّ، أن لا أُفهَم، أن لا أُرى،الخوف من أن أُحكم عليّ دون أن

أُســـمع،الخوف مـــن ذاتـــي، مـــن أعمـــاقي، من ضعفي الذي لا يرحمني.

وفـــي لحظـــة مـــا لـــم أعـــد أميّـــز بينـــي وبـــين خـــوفي صـــرنا واحـــدًا أعـــيش بداخلـــه، وهـــو يتـــنفس فـــي صـــدري كـــل قـــرار كنـــت أريـــد اتخـــاذه، كنـــت أعـــود عنـــه كـــل كلمـــة رغبـــت فـــي قولهـــا ابتلعتهـــا كـــل صـــرخة خنقتهـــا لأنني أخاف أن يقال عني:

"مـــا بـــكِ ولأننـــي أخـــاف الأســـئلة آثـــرت الاختفـــاء صـــرت أعـــيش فـــي الظـــلّ ألبســـني الخـــوف ثـــوب اللاوجـــود، ومضـــيت بـــه، بســـلام غريـــب لكنـــي كنـــت أرى فـــي لحظـــات نـــادرة شـــيئًا فـــي داخلـــي يقـــاوم شـــيئًا" يقـــول لي:

"أيــن ذهبتــي وكنــت أبتســم بســخرية: لقــد كنــت هنــا دائمًــا، لكــن لا أحــد نظــر جيــدًا الخــوف لــم يكــن قــاتلًا بالســيف كــان قــاتلًا بالإهمــال بالتجاهــل بالعــادة قتلنــي دون دم، دون صوت جعلني أختفي وأنا أعيش".

وهــا أنــا اليــوم، أكتــب هــذا الفصــل ربمــا لأقول لنفسي:

-"لقــد كنــتِ هنــا وإن كنــتِ لــم ترتجفــي، فقــد اختفيــتِ وذاك أقســى مــا يمكــن أن يصــيب إنســانًا حيًّــا أن لا يكــون ميتًــا لكنــه غيــر موجود".

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني

بكاءٌ لا يُسمع في القلب

مـــا أقســـى أن تبكـــي ولا يـــراك أحـــد ومـــا أوجـــع أن لا تبكـــي لأنـــك اعتـــدت أن تتـــألم بصـــمت أنـــا لا أبكـــي بصـــوت أنـــا أنـــزف دموعًـــا داخـــل القلـــب دموعًـــا لا تُـــرى ولا تصـــل إلـــى العينـــين كـــل ليلـــة كنـــت أختبـــئ داخلـــي أبحـــث عـــن ركـــن آمـــن فـــي صـــدري لأبكـــي فيـــه لكننـــي مـــا وجـــدت غيـــر غرفـــة ممتلئة بالأنين القديم.

أنـــين تكـــدّس فـــوق بعضـــه حتـــى مـــا عـــاد يجـــد متســـعًا ،كـــل وجـــع لـــم أتكلـــم عنـــه، كـــل دمعـــة ابتلعتهـــا، كـــل وجـــع قلـــت عنـــه عـــادي لـــم يكـــن عاديًّـــا ،لقـــد تـــراكم وتحـــوّل إلـــى وزن ثقيـــل يســـكن صـــدري أحيانًـــا كنـــت أشـــعر أننـــي أغرق دون ماء .

أنني أصرخ دون صوت، أنني أختنق وسط ضجيج الحياة، دون أن ينتبه أحد ولا حتى أنا لقد تعبت من قولي أنا بخير.

تعبت من المجاملة التي أقدمها لنفسي كل يوم كي أبدو قوية، أنا لست قوية أنا فقط محترفة صمت خبيرة بكتمان الدموع ومتورطة بالنجاة من دون حيلة البكاء.

كان يحدث في داخلي في مواضع لا يعرفها أحد كنت أبكي في الذاكرة في التفاصيل التي لم أُشاركها أحدًا.

في المواقف التي مرّت مرورًا عاديًّا على الناس لكنها حفرت فيّ عمقًا لا يراه أحد أبكي عندما يعلو صوت الضحك

حـــولي وأنـــا عـــاجزة عـــن المشـــاركة أبكـــي عندما يقال لي:

-أنـــت قويـــة وأنـــا منهـــارة مـــن الـــداخل أبكـــي لأننـــي فقـــدت قـــدرتي علـــى شـــرح الألـــم، لأننـــي لـــو أردت أن أتكلـــم، لـــن أعـــرف مـــن أيـــن أبـــدأ فـــي هـــذا العـــالم، لا أحـــد يفهـــم البكـــاء الصـــامت، النـــاس لا يؤمنـــون إلا بالدموع التي تُرى.

أمـــا هـــذا البكـــاء الـــذي يحـــدث فـــي الزاويـــة اليســـرى مـــن القلـــب فهـــو يضـــيع، يُهمَـــل، يُنســـى لكننـــي أعيشـــه أعرفـــه جيـــدً وأعـــرف كيـــف ينهكنـــي كـــل ليلـــة وكيـــف أُجبـــر نفســـي علـــى النـــوم كـــأن شـــيئًا لـــم يكـــن ،البكـــاء الـــذي لا يُســـمع هـــو الأخطـــر لأنـــه لا يجـــد مـــن يواســـيه ولا حتـــى مـــن يعتـــرف بوجـــوده

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وفـــي كـــل مـــرة كنـــت أصـــل فيهـــا إلـــى قـــاع حزني، كنت أقول لنفسي:

-"اصـــمتي لا فائـــدة وكـــان هـــذا الصـــمت هـــو بكائي الحقيقي".

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث

الغريبة في كلّ مكان

أنـــا وحـــدي حتـــى حـــين أحـــاط بـــي النـــاس حتـــى حـــين ســـمعوني، أو ظنّـــوا أنهـــم ســـمعوني حتـــى حـــين ابتســـمت لهـــم مجاملـــةً لأنـــي لا أريـــدهم أن يســـألوا ،كنـــت وحـــدي غريبـــة عـــنهم وغريبـــة عـــن نفســـي أكثـــر هنـــاك نـــوع مـــن الوحـــدة لا علاقـــة لـــه بعـــدد مـــن يجلســـون حولـــك ،بـــل بمـــدى قـــدرتك علـــى أن تكـــون حقيقيًـــا وأنـــت بيـــنهم وأنـــا لـــم أكـــن حقيقيـــة كنـــت نســـخة مبتذلـــة منّـــي نســـخة تُرضـــي الجميـــع وتُرضـــي الجميـــع فقـــط، كنـــت أراقـــب الضـــحك مـــن بعيـــد، وأضـــحك مثلـــه أُومـــئ برأســـي لمـــا لا أفهمـــه أُجامـــل بمـــا لا أشـــعر بـــه كنـــت حاضـــرة بجســـدي وغائبـــة بكـــل مـــا فـــيّ أشـــعر كـــأنني كـــائن مختلـــف لـــيس فـــي جســـدي، بـــل فـــي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تـــرددي، فـــي صـــمتي، فـــي عمـــق أفكـــاري الـــذي لا يســـكن فيـــه أحـــد غيـــري كلمـــا حاولـــت أن أشـــارك جـــزءًا مـــن هـــذا العمـــق ضُـــحك علـــيّ أو سُـــمّي مـــا أشـــعر بـــه مبالغـــة فـــآثرت الصـــمت وصـــادقت وحـــدتيحتى صـــارت جـــزءًا منـــي لا يُغادرأنـــا لا أهـــاب الليـــل ولا الغـــرف الفارغـــة ولا الأمـــاكن التـــي لا يجلـــس فيهـــا أحـــدأنا أهـــاب الجمـــع الضـــحك الكثيرالســـطحيات المفرطـــة أخـــاف أن يضـــيعني الزحـــام أكثـــر ممـــا فعـــل وحـــدتي ليســـت ســـجنًا بـــل خـــلاص أنـــا لا أبحـــث عمّـــن يُنقـــذني منهـــا بـــل عـــن شـــخصٍ إذا وجـــدني فيهـــا جلـــس بجـــانبي دون أن يطلب مني الخروج.

الغريب في الوحدة أنها ليست فراغًا بل امتلاء مفرط بي أنا أعيش مع نفسي أكثر مما عشت مع أحد أتحدث معي، أعاتبني، أُسامحني، أدفن أحزاني وأقيم لها جنائز لا يحضرها أحد وفي كل مرة أخرج من صمتي أجد أنني عدتُ لنفسي بشكل أعمق .

أنا الغريبة، الغريبة في البيت، في المقهى، في النص، في المرايا أحمل معي قلبي كأنه خريطة مهترئة لا توصل لأي مكان ومع ذلك أواصل السير ربما، فقط ربما في مكان بعيد، وفي لحظة لم تُكتب بعد سأصادف روحًا لا تسألني: لماذا أنتِ هكذا بل تمسك بيدي وتقول:

تعـــالي كمـــا أنـــتِ حينهـــا فقـــط ســـأتوقف عـــن كوني الغريبة وأكون نعمة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع

كلي سؤال بلا جهة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الضـــياع لـــيس أن تجهـــل الطريـــق بـــل أن تمشـــي فيـــه وأنـــت لا تعلـــم مـــن الـــذي يخطـــو حقًـــا أن تشـــعر بأنـــك تتحـــرك لكنّـــك لا تتقـــدّم كأنـــك ظـــلّ يتبـــع أحـــدًا لا تعرفـــه، كأنـــك روحٌ لـــم تُوقّـــع عقـــدها مـــع الجســـد الـــذي تســـكنه أنـــا لا أعرفنـــي وأجهـــلُ تمامًـــا الطريـــق الـــذي يفتـــرض أن يقـــودني إلـــيّ كـــل الأبـــواب متشـــابهة كـــلّ الاتجاهـــات تُفضـــي إلـــى دائـــرة كـــلّ الأصـــوات داخلـــي تهمـــس بأشـــياء لا أفهمهـــا، كـــأنني ســـؤال يمشـــي بـــلا جهـــة، كـــأنني فكـــرة لـــم تُكتمـــل أحتـــاج خارطـــة توضّـــح لـــي كيـــف أصـــل إلـــى قلبـــي وكيـــف أســـتمع إلـــى الصـــوت الـــذي نســـيت نبرتـــه ذلـــك الصـــوت الـــذي كنـــت أســـمعه وأنـــا طفلة، يقول لي:

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

-أنتِ بخير لأنكِ أنتِ، أما الآن فلا شيء فيّ يُشبهني ولا شيء فيّ يُشبه أحدًا في مرآتي أرى وجهي، لكنه بلا تعريف أشعر كأنني استعرت هذه الملامح من امرأة أُخرى.

الابتسامة مؤقتة النظرات مربكة ، الحزن هو الشيء الوحيد الأصيل والقديم ،لم أكن أبحث عن أجوبة كنت فقط أريد سؤالًا واحدًا صادقًا يربكني من شدة صدقه لكن الحياة أعطتني ألف سؤال دون أي جهة أذهب فيها أسير، أتراجع، أتوقف، أنهار، أبتسم، أتظاهر، أنجو، وأسقط من جديد ولا شيء يحدث فعلًا وكأن وجودي تجربة مكرّرة حياة لم تُكتب بإحكام، ومشهد طويل من التوهان

الروحي كل من حولي يعيش، وأنا أبحث عني في بقايا اليوم في التفاصيل الصغيرة في الرسائل القديمة في النصوص المهملة، أبحث عنّي كما يبحث طفل عن أمّه وسط حشد صاخب أصرخ داخلي لكن لا أحد يسمع ولا حتى أنا، أنا الضائعة فيّ أنا التي تسكن جسدها كغريبة أنا التي تمشي في الحياة وكل خطوة تفتح سؤالًا جديدًا ولا أحد يجيب ولا جهة تُضيء ولا نفس تُنقذني مني.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس

أنا التي لا أجدني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فـــي مرآتـــي لا أرى وجهـــي بـــل ســـؤالًا يتكرر:

_مـــن هـــذه وفـــي عينـــيّ لا أســـكن أنـــا، بـــل ظـــلٌّ قـــديم لشـــيء فقدتـــه منـــذ زمـــن أنـــا لـــم أفقـــد الطريـــق بـــل فقـــدت الخطـــوة لـــم أفقـــد الصـــوت بـــل فقـــدت النبـــرة التـــي كنـــت أعـــرف بهـــا نفســـي أصـــبحتُ أعـــيش علـــى حـــواف نفســـي، أخـــاف أن أعـــود إلـــيّ فـــلا أجـــد شـــيئًا كـــأنني أنقّـــب فـــي داخلـــي عـــن روح دفنتهـــا بيـــدي دون أن أودّعهـــا هنـــاك لحظـــة لا تشـــبه كـــل شـــيء آخـــر لحظـــة تكتشـــف فيهـــا أنـــك لـــم تعـــد تشـــبه نفســـك لا فـــي الحـــب، لا فـــي الانـــدهاش، لا فـــي الحـــزن حتـــى تصـــبح مشـــاعرك نســـخة باهتـــة، وردود فعلـــك محفوظـــة وتعبيـــرات وجهـــك تمثيـــل صـــامت

كل شيء فيّ تغيّر لكن لا أحد لاحظ كأن فقداني لنفسي كان حدثًا داخليًا فقط، لا يراه سواي وكنت أُجامل الحياة كل يوم كي لا تلاحظ أنني فارغة تائهة أنا، لا بين الأماكن بل فيّ أبحث عني كما يبحث طفل عن أمه في زحام لا يعرفه أنادي باسمي فلا أسمع الردّ أمدّ يدي لنفسي فلا أجدها أبكي ولا أعرف من يحتضن هذا الوجع الغريب أنا فقدتني ولا أدري إن كنت سأجدني يومًا.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السادس

أنا التي كانت تضيء وأنا التي أطفأتُها

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كنتُ أزهر نعم، كنتُ أزهر حيث ما كنت وأين ما كنت كانت روحي خفيفة، ضاحكة، تنثر النور على الطرقات التي أمرّ بها كنت أكتب الحُبّ دون أن أعيشه، وأبتسم للريح وكأنها تهمس لي وحدي لكن شيئًا ما انطفأ لا أعلم متى ولا كيف ربما حين تعبت من التصنّع أو حين شعرت أن كل الذين مرّوا بي أخذوا شيئًا مني دون أن يتركوا شيئًا.

كنت أحبني أحب ضحكتي، جنوني، حماسي، تلك البساطة التي كانت تسكنني لكنني خذلتها خذلت تلك الطفلة التي كنتها أطفأت نورها كي أنجو في عالم لا يرى النور نعمة بل سذاجة أحنّ إليّ إلى تلك النسخة التي كانت تحبّ

الصباح، وتُغني مع العصافير، وتضحك دون سبب أشتاق لصوتي حين كنت أتكلم بثقة، وأخطئ بلا خوف، وأجرب كل شيء كأنه أول مرة.

نفسي القديمة كانت تزهر وأنا من ذبلتها أنا التي تركتها وحيدة، ولم أعد واليوم أجلس في الظلام الذي صنعته بيدي وأهمس لها:

"اعذريني لم أكن أعرف أن العالم قاسٍ إلى هذا الحد".

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السابع

أعدت خلق نفسي من العدم

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

بعد كل انهيار هناك خيار إما أن تموت داخلك أو تُعيد بناء ذاتك من جديد، حجرًا فوق حجر، وجعًا فوق وجع، حتى تصبح إنسانًا آخر، وأنا اخترت أن أبدأ من العدم أن أضمّد جراحي بنفسي، وأقول لها:

"أنتِ كافية أن لا أطلب من أحد أن ينقذني لأنني صرت أعرف أنني الوحيدة القادرة على النجاة".

أعدت بناء ثقتي بأنفاسي نَفَس بعد نَفَس، خطوة بعد خطوة، يومًا بعد يوم كنت أتحدث مع نفسي كثيرًا أقول لها: "مازلتِ هنا، مازلتِ قادرة، مازلتِ أنتِ".

ولـــم يكـــن الطريـــق ســـهلًا كـــان مليئًـــا بالخيبـــات القديمـــة، والـــذكريات التـــي تشـــدّني إلـــى الـــوراء لكننـــي قاومـــت كـــل فكـــرة قالـــت لـــي إننـــي لا أســـتحق كـــل صـــوت أخبرنـــي أننـــي لـــن أتغيـــر كـــل شـــعور حـــاول أن يعيدني لما كنت عليه.

أعـــدت تعريفـــي لنفســـي لـــم أعـــد تلـــك الطفلـــة الخائفـــة مـــن الوحـــدة ولا تلـــك البنـــت التـــي تنتظـــر أن يحبهـــا أحـــد كـــي تشـــعر بأنهـــا كافيـــة أنـــا الآن ، أحبنـــي لأننـــي حيّـــة، لأننـــي حاولـــت، لأننـــي لـــم أستســـلم، وثقتـــي ليســـت مثاليـــة، لكنهـــا لـــي مشـــوّهة لكنهـــا نبتـــت فـــي أرضٍ ميتـــة أعـــدت خلقـــي ولـــن أعـــود لمـــا كنت عليه أبدًا.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثامن

أنا التي نفضت الرماد عن قلبي

فـــي لحظـــة لا أحـــد يراهـــا، وبـــين تنهيـــدة عـــابرة، اســـتيقظ فـــيّ شـــيء يشـــبه الحيـــاة لـــم يكـــن انتصـــارًا كبيـــرًا ولا بدايـــة جديـــدة بمعناهـــا المعلـــن بـــل كـــان همسًـــا داخليًـــا يقول لي:

"أنـــتِ لـــم تنتهـــي بعـــد لا زال فيـــكِ رمـــق، لا زال فيكِ نبض".

أنـــا التـــي ظننـــت أنـــي انتهيـــت، أننـــي صـــرت رمـــادًا لا يصـــلح للحريـــق مـــن جديـــد ،لكننـــي كنـــتُ تحـــت الرمـــاد أتـــنفّس بـــبطء كنـــت أختبـــئ فيّـــي أنتظـــر فرصـــة لا أعـــرف إن كانـــت ســـتأتي وهـــا أنـــا الآن لا أزهـــر، بـــل أتـــنفّس أول خضـــرة فـــي داخلـــي لا أصـــرخ، بـــل أرتّـــب أنفاســـي كـــأنني أتعلّـــم الحيـــاة مـــن جديـــد أنـــا لا أنـــتقم مـــن الألـــم، بـــل أغســـله

منّـــي لا أكـــره الماضـــي بـــل أودّعـــه دون أن أرجـع إليـه كـل ليلـة أنـا التـي نفضـت الرمـاد عـــن قلبـــي لـــم أعـــد أنكـــر ضـــعفي، بـــل أحتضـــنه لـــم أعـــد أهـــرب مـــن حزنـــي، بـــل أتكلـم معـه لـم أعـد أخجـل مـن وحـدتي، بـل أزيّنها بنجومي الصغيرة.

كـــل وجـــع مـــرّ علـــيّ، علّمنـــي أننـــي أملـــك أكثـــر ممـــا ظننـــت ،كـــل شـــخص خـــذلني، أهـــداني درسًـــا فـــي الاكتفـــاء، وكـــل لحظـــة بكيـت فيهـا كانـت مـاءً سـقى البـذرة التـي أنـا عليها اليوم.

أنـــا لا أدّعـــي الكمـــال لكنـــي أشـــهد ولادتـــي الجديـــــدة، ولادة لا ضـــــجيج فيهـــــا، ولا إعـــلان فقـــط ســـكونٌ هـــادئ داخلـــي يقـــول لي: "مرحبًا بكِ من جديد".

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل التاسع

أنا النور الذي أنقذني

لـم يـأتِ أحـد، لـم يمـدّ لـي يـده أحـد لـم يقـل لـــي أحـــد : انهضـــي، أنـــا هنـــا كـــل الـــذين ظننـــتهم نـــورًا عبـــروا فـــي الظـــلام دون أن ينظـــروا خلفهـــم ،وكـــل الـــذين بكيـــت أمـــامهم تركـــوني أُجفّـــف دمعـــي وحـــدي لكنـــي نجـــوت، نجـــوت لأننـــي تـــذكّرت أن فـــي داخلـــي نـــورًا نســـيتُه طـــويلًا لكنـــه لـــم ينســـني أبـــدًا كنـــت أُصـــلح قلبـــي بصـــمت أُعيـــد ترتيـــب أنفاســـي كلمـــا خـــذلتني الحيـــاة، أُربّـــت علـــى كتفي قائلةً:

-"لـــيس بعـــد مـــا زال فيـــك حيـــاة تســـتحق أن تُعاش".

لـــم أكـــن مثاليـــة كنـــت فقـــط مصـــمّمة علـــى ألا أُطفـــأ كنـــت أبحـــث عـــن ســـبب صـــغير لأُحبّنـــي مـــن جديـــد ووجدتـــه فـــي تلـــك التفاصـــيل

المهملة، في كتاب أنقذني من فكرة سوداوية في ضوء صباح تسلّل بخجل من النافذة في صوتي الداخلي حين قال لي:

"أنتِ لستِ هشّة، بل إنسانة مرّت بالجحيم وبقيت".

أدركت أنني لا أحتاج أحدًا ليرى نوري، يكفيني أن أراه أنا، يكفيني أن أؤمن أن كل جرح كان يحفر فيّ، لم يكن عبثًا بل كان يصنعني من جديد ،أنا النور الذي أنقذني، أنا التي لم تنتظر يدًا تُمسكها بل صنعت لنفسها يدًا، ومسحت بها دموعها في قلبي الآن مقعدٌ فارغ ليس لأحد بل لي، فقط لي لأنني أخيرًا تعلّمت أن أحبّ نفسي كما هي أن أكون لنفسي وطنًا أن

أضـــيء لـــي الطريـــق، حـــين ينســـى الجميـــع أننـــي مـــا زلـــت أمشـــي ،أنـــا النـــور الـــذي أنقذني ،وأنا الامتنان كله لما بقي منّي .

الخاتمة

الـذين أحبّـوا أنفسـهم فـي الرمـق الأخيـر هـم النـاجون الحقيقيـون ربمـا لـم أنـجُ بالطريقـة التـي أرادهـا الجميـع، لكننـي نجـوت علـى طريقتـي، وفـي تـوقيتي، وبيـدي كتبـت هـذا الكتـاب لا لأقـدّم إجابـات بـل لأقـول إن الأسـئلة أيضًـا تسـتحق أن تُحتـرم، لأقـول إن الضـياع لا يعنـي الفشـل، وإن الانكسـار لا يلغي النور.

وإن الصـمت أحيانًـا صـراخ ناضـج لا يريـد أن يُـزعج أحـدًا ، أنـا لـم أكـن بطلـة ،كنـتُ فقـط إنسـانة حاولـت نهضـت بعـد كـل خيبـة، وتنفّسـت رغـم كـل الخنـق أنـا التـي اختـارت أن تحـب نفسـها أخيـرًا بعـد أن أهملهـا الجميع بمن فيهم هي.

فـــي هـــذا الكتـــاب وجـــدتني مبعثـــرة، خائفـــة، حزينـــة، ضـــائعة ثـــم وجـــدتني، أحـــاول أبنـــي، أُضـــمد، أكتـــب، أســـتمع، وأحـــب مـــن جديـــد وجـــدتني كمـــا أنـــا دون أقنعـــة، دون محاولـــة لإرضـــاء أحـــد، وربمـــا لـــو قرأتـــه يومًـــا، إنســـانٌ تائـــه مثلـــي ســـيجد فـــي حروفـــي وطنًـــا مؤقتًـــا، أو نافـــذة صـــغيرة تنيـــر لـــه عتمتـــه وإذا ســـألتني :"مـــاذا خرجـــتِ بـــه مـــن كـــل هذا؟"

-ســـأجيبك بكـــل هـــدوء أن الـــذين أحبّـــوا أنفســـهم فـــي الرمـــق الأخيـــر هـــم النـــاجون الحقيقيون.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

فهرس الكتاب:

تمهيد.....6
الفصل الاول.....9
الفصل الثاني.....14
الفصل الثالث.....19
الفصل الرابع.....24
الفصل الخامس.....28
الفصل السادس 31
الفصل السابع 34
الفصل الثامن.....37
الفصل التاسع.....40